الفصل الأول

[فى نجابة[1] الأبناء وحُسن أجوبة الأذكياء]

□ مناقب الرسول - ﷺ - قبل الرسالة :

وقد منّ الله - سبحانه وتعالى -بالبُداءَة[2] فى هذا الفصل بقُرّة كلّ عين ، وغُرَّة كل زين ، أعلى المولودين قدراً ، وأشرفُهم حَسَبًا وذِكرًا ، سيد الأولين والآخرين ، ورسول ربّ العالمين ، سيدنا ونبينا محمد - ﷺ -،

□ إكرام عبد المطلب له - ﷺ - وهو صغير :

وهو ماروى أن عبد المطلب -جدّ النبّى- ﷺ - كان يفرش له فِراشًا إلى جدار الكعبة فيجلس عليه فى ظّلها ، ويُحْدِقُ بفراشه بنوه وغيُرهم من سادات عشيرته ، وكان الفِراشُ يُفْرَشُ له ويجتمعون إليه قبل مجيئه ، فيأتى النبى - ﷺ - وهو طفل صغير يَدِبّ ، فلا يَثْنيه عن الفراش شيء حتى يجلسَ عليه ، فتزيله أعمامه عنه فيبكى حتى يردوه إليه ، فاطلع عليهم عبد المطلب يومًا وقد أزالوا النبى - ﷺ - عن الفراش وهو يبكى ، فقال : رُدوا ابنِى إلَّى فإنه يُحَدّثُ نفسَه بمُلْكٍ عظيم وسيكون له شأن ، فكانوا بعد ذلك لا يردونه عن الفراش[3].

وأرسلت آمنة بنت وهب أمّ رسول الله - ﷺ - جاريتها إلى عبد المطلب - فى الليلة التى ولدت فيها رسول الله - ﷺ - بأن يأتى إليها ، وكان عبد المطلب يطوف بالبيت تلك الساعة ، فأتاهما ، فقالت له : ياأبا الحارث قد وُلِدَ لَكَ الليلة مولود له أمر عجيب ، فذعر[4] عبد المطلب وقال : أليس

---

(١) نجابة : يقال نَجُبَ الولد نجابة : نَبُه وبان فضله على من كان مثله ، ويقول الشاعر :

نِعم الإلٰه على العباد كثيرة وأجَلُّهُنَّ نجابةُ الأولادِ

(٢) البُداءة (بضم الباء) : البدء . يقال : لك البُداءة : البدءُ .

(٣) ارجع إلى السيرة النبوية لابن هشام تحت عنوان : « حال الرسول - ﷺ - مع جده عبد المطلب بعد وفاة آمنة » وقد ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية فصلا فى عناية جده عبد المطلب وعمه أبى طالب تضمن ما ذكره المؤلف فى مختصره هذا .

(٤) ذُعِر : خاف وفزع .

هو بشراً سوياً ؟ قالت : بلى ، ولكنه سقط حين خرج خارًّا كالرجل السّاجد ، ثم رفع رأسه وأُصْبعه نحو السماء حين لاتقِلُّ رقبةٌ رأساً ولا ذراعٌ كفاً ، وخرج معه نور ملأ البيت ، فصارت النجوم تدنو حتى ظننا أنها تسقط علينا .

ثم قالت آمنة : ياأبا الحارث إنه لما اشتد بى المخاض كثرت علىَّ الأيدى فى البيت ، وحين خرج هذا المولود إلى الدنيا خرج معه نور رأيت فيه قُصور بُصْرَىٰ من أرض(*) الشام ، ولقد قيل لى فى منامى قبل أن ألده : إنك ستلدين سيد هذه الأمة ، فإذا ولدتيه فسميه محمداً ، وإذا وقع على الأرض فقولى :

أعيـــــذه بالواحـــــد مـــن شرِّ كـــلّ حـــاسد

فقال عبد المطلب : أخرجى إلَّى ابنى فلقد كنت الساعة أطوف بالبيت فرأيته مال حتى قلت : إنه سقط علىَّ ، ثم إنه استوى منتصباً وسمعت من تلقائه قائلاً : يقول الآن طَهّرَنى ربى ! ، وسقط هُبل على رأسه ، حتى جَعَلْتُ أمسحُ عينى وأقول : إنما أنا نائم . فأَخْرَجْتُه إليه فقبله ، وانطلق به إلى الكعبة فطاف بها سبعاً ثم وقف به عند الملتزم وجعل يقول :

ياربَّ كُلِّ طائفٍ وهَاجـدِ وربَّ كُـلِّ غـائبٍ وشَاهـدِ
أدعوك والليل طفوح راكـد لاَهُمَّ فاصرف عنه كيد الكائدِ
واحطم به كل عنود صاهد(١) وانشه ماخلـــد الأوابـــد
فى سود رأس وجد صاعد

[قصة سيف بن ذى يزن]
وبشارَتُه بالنبى الأُمِّىِّ

● وقال ابن عباس – رضى الله عنه – : لما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة أتته وفود العرب ؛ خطباؤُها وأشرافُها ، وشعراؤها ليشكروه على الأخذ بثأره ، ويهنئوه بما صار إليه من الملك ، وقدم إليه وفد قريش وفيهم

(*) ذكره ابن كثير من حديث للإمام أحمد « .. ورَأَتْ أمى أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام » .

(١) الصاهد : الشديد .

عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس فاستأذنوا عليه وهو فى رأس قصر يقال له : غُمْدَان بصنعاء اليمن ، فأذن لهم ، فدخلوا عليه فإذا هو متضمخ بالمسك ، وعليه بُردان والتاج عليه - يعنى على رأسه - وسيفه بين يديه ، وملوك حِمير عن يمينه وشماله ، فاستأذنه عبد المطلب فى الكلام فقال : إن كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد أذنَّا لك ، فقال عبد المطلب : « إن الله قد أحلك أيها الملك محلاً باذخًا منيعًا شامخًا ، وأنبتك نباتاً طابت أرومته ، وعذبت جُرْثُومَته[1]، وثبت أصله ، وبَسَقَ فرعه[2] بأحسن معدن وأطيب موطن ، فأنت - أبيت اللعن[3]- ملك العرب الذى له تنقاد ، وعمودها الذى عليه الاعتماد . وسائسها الذى بيده القياد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ،لن يخمل من هم سلفه ، ولا يهلك من أنت خلفه . نحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته[4]» .

فقال له الملك : من أنت أيها المتكلم ؟ قال : عبد المطلب بن هاشم ، قال : ابن أختنا ؟ قال : نعم .

فأقبل عليه من بين القوم وقال : مرحبًا وأهلاً ، وناقةً ورَحْلاً ، ومُسْتَنَاخًا سَهْلاً ، ملكاً ربحلاً[5]، يعطى عطاءً جزلاً ، قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم ، أنتم أهل الليل والنهار لكم الكرامة إذا أقمتم ، والحِبَاء إذا ظعنتم ، ثم أمر بهم إلى دار الضيافة ،. وأجرى عليهم الأنزال ، فأقاموا شهراً لا يؤذن لهم ولا يصلون إليه ، ثم إنه انتبه لهم انتباهة ، فأرسل إلى عبد المطلب خاصة ، فأتاه فأخلاه ثم قال له : إنى مُفْضٍ إليك من سرى وعلمى فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه بأمره ، إنى أجد فى الكتاب الناطق والعلم الصادق - الذى اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا - خبرًا عظيماً وخطراً جسيماً ، فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة ، وهو للناس كافة ، ولقومك عامة ، ولك خاصة .

---

(١) الأُرومة الأصل ، وكذلك الجرثومة .

(٢) بسق فرعه : طال وامتد .

(٣) تحية قديمة عند العرب أى أبيت أن تفعل ما يستوجب اللعن .

(٤) السَّدنة : جمع سادن وهو خادم الكعبة .

(٥) رَبَحْلاً : كثير العطاء عظيم الشأن . وقد ذكرت هذه القصة فى دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٥٧ ج ١) وتناولتها كتب السيرة ، وتاريخ الأدب . انظر ابن كثير المجلد الأول ص ٧٧٧ قصة سيف بن ذى يزن الحميرى وبشارته بالنبى الأمى .

قال عبد المطلب : أبيت اللعن لقد [أُبْتُ بخير ماآب به][1] وافد ، ولولا هيبة الملك وإجلاله لسألته عن كشف بشارته إياى ما أزداد به سرورًا ، فقال الملك : نبى هذا حينه الذى يُولد فيه ، اسمهمُحَمّد ، خَدَلّج الساقين ، أَنْجَلُ العينين ، فى عينه علامة وبين كتفيه شامة ، أبيض كأن وجهه فلقة قمر ، يموت أبوه وأمه ، ويكفلُه جَدّه وعَمّه ، والله باعثه جهارًا وجاعل له منا أنصارًا ، يعزّ بهم أولياءه ، ويُذلّ بهم أعداءَه ، يكسر الأوثان ، ويعبد الرحمٰن ، ويُخْمد النيران ، ويَدْحَرُ الشيطان ، قوله فصل ، وحكمُهُ عدل ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ويبطله . فقال عبد المطلب : عَزّ جَدُّك وعَلا كعْبك وطال عُمرُك ، هل الملك سارّ لى بإفصاح ؟، فقد أوضح لى بعض الإيضاح ، فقال له الملك : والبيت ذى الحجب ، والعلامات على النصب ، إنك ياعبد المطلب لجده غير كذب .

قال : فخر عبد المطلب ساجدًا ، ثم رفع رأسه ، فقال له الملك : ثلج صدرُك وعلا أمْرك وبلّغَك أمَلك فى عَقِبك ، هل أحسست بشىء مما ذكرت لك ؟ قال : نعم ، قال : كان لى ابن كنت عليه شفيقاً وبه رفيقاً زوجته كريمة من كرائم قومى ، وهى آمنة بنت وهب بن عبد مناف ، فجاءت بغلام سميته محمدًا ، خَدَلّج الساقين ، أنجل العينين[2]، بين كَتَفَيْه شامة ، فيه كل ما ذكر الملك من العلامات ، مات أبوه وأمه وكفلْتُه أنا وعمه .

فقال الملك : الذى قلت لك كما قلت ، فاحتفظ بابنك ، واحذر عليه من اليهود فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً ، والله مُظْهِرٌ دعوتَه وناصرٌ شيعتَه ، فامض على ما ذكرته لك واستُرْه دون هؤلاء الرهط الذين معك ، فلست آمنُ أن تَدْخُلَهم النفاسة من أن يكون لك الرياسة ، فينصبون لك الحبائل ، ويطلبون بك الغوائل ، وهم فاعلون ذلك أو أبناؤهم ، وإن عِزّه لباهر ، وإن حظّهُم به لوافر ، ولولا عِلمى أن الموتَ يطلبنى لسرتُ إليه بخَيلى ورَجْلى[3] حتى أصير بيثرب دار مملكته ، فأكونَ أخاه ووزيره ، وصاحبه وظَهيره ، فإنى أجد فى الكتاب المكنون ، والعلم المخزون أن بِيَثْرِبَ استحكام

---

(١) ما بين المعقوفين غير واضح بالمخطوطة وصوبته من البداية والنهاية . وأبتُ : رجعت وعدت ، والمراد : أنه أكرم إلى جانب هذا النبأ السار الذى سيعود به من رحلته هذه .

(٢) الخدَلّج : الممتلىء الذراعين والساقين ، أنجل العينين : واسعهما فى حسن . والشامة : علامة فى البدن يخالف لونها لون سائره . (٣) ورَجْلى : اسم لجمع الراجل وهو (الماشى على رجليه) .

أمره ، وأهل نُصْرته ، وارتفاع ذكره ، وموضع قبره ، ولولا أنى أقيه الآفات ، وأحذر عليه العاهات لأظهرت أمره ، وأوطأت العرب كعبه على صغر سِنِّه ، ولكنى صارف ذلك إليك عن غير تقصير بك .

ثم أمر لكل رجل من القوم بعشرة أعْبُدٍ ، وعشرة إماء سود وعشرة أرطالٍ من ذهب ، وأمر لعبد المطلب بعشرة أمثالِ ذلك ، وقال لعبد المطلب : إذا كان رأس الحول فأْتِنى بخَبره ، وما يكون من أمره ، فمات الملك قبل أن يحول الحول ، فكان عبد المطلب يقول لأصحابه : لا يغبطنى أحد بعطاء الملك ولكن يغبطنى بما أسر إلَىَّ الملك ، فيقال له : ماهو ؟ فيسكت[1].

[الفِراسة وحليمة السعدية]

● وقالت حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية - وهى مُرضعة رسول الله - ﷺ - قدم علينا قائف ، تعنى : رجلاً متفرساً لا تخطىء فراسته (وهم قوم بأعيانهم من بنى مُدْلِج يتوارثون القِيافَة ، وكانت العرب تقضى بأحكامهم إذا ألحقوا رجلاً بقوم أوثقوه عندهم والشرع حكم بالقضاء بقولهم) .

قالت حليمة : فانطلق الناس بأولادهم إلى ذلك القائف يقفو لهم ، قالت : وانطلق الحارث بن عبد العُزَّى - تعنى زوجها - برسول الله - ﷺ - وهو فى سن الرضاع ، فأخذه من عبد العُزَّى وقَبَّله ، وقال : ما ينبغى لهذا الصبى أن يكون من بنى سعد ، قال : صدقت وهو مُسْتَرْضَعٌ فينا ، وهو ابنى من الرضاعة ، فقال القائف : اردده على أهله فإن له شأناً عظيماً ، وستفترق فيه العرب ، ثم تجتمع عليه .

[من مناقبه - ﷺ - قبل الرسالة]

● وقال جعفر بن أبى طالب : خرج رسول الله - ﷺ - وهو طفل صغير يلعب فرآه قوم من بنى مُدْلِج ، وهم القافة ، فدعوه ونظروا إلى قدميه ، وفقده عبد المطلب فخرج فى طلبه حتى انتهى إليهم ورسول الله - ﷺ - بين أيديهم وهم يتأملونه ، فقالوا : ماهذا الغلام ؟ قال : ابنى ، فقالوا :

(١) كان سكوته : خوفا عليه ، وعملا بالوصية . انظر دلائل النبوة (٥٦/١ - ٦٠) ، والبداية (٧٧٧/١ - ٧٧٩) وغيرهما ، وذكره الخرائطى .

احتفظ به فما رأينا قدمًا أشبه بالقدم الذى فى المقام من قدميه – يعنون إبراهيم – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام –، فى الحِجْر المسمى بمقام إبراهيم .

● وروى أن قريشًا اجتمعت فى دار الندوة يتشاورون فى أمرٍ مُهِمّ ، وحضرهم قَيْل[1] من أقْيال اليمن ، فدخل رسولُ الله – ﷺ – دارَ الندوة وهو صبى يدعو عمه أبا طالب ، فنهض إليه أبو طالب حين أشار إليه وخرجا معًا ، فقال القيل : يامعشر قريش ؛ مَن هذا الغلامُ الذى ينظر مرة بعينى لَبُؤَةٍ بجرية ومرة بعين عذراء خفرة ؟ فقالوا : هذا يتيم أبى طالب وهو ابن أخيه ، ثم قالوا : إن وصفك ينبىء عن غبطة فى صدرك ، فقال : أما ونَسرًا – يعنى صنماً كانت حمير تعبده – لئن بلغ هذا أشده ليميتن قريشاً ثم ليحيينّها ، ولقد نظر إليكم نظرة لو كانت سهمًا لانتظم أفئدتكم فؤاداً فؤادًا ، ثم نظر إليكم نظرة لو كانت نسيماً لأنشرت الموتى ، قالوا له :حَسْبُك ياقَيْلَ حمير فإن الأمر غير ما تظن ، قال : سترون !.

● وروى أن أكثم بن صَيْفى[2]– وهو حكيم العرب – حج فرأى النبى – ﷺ – وهو صبى يتبعُ عمَّه أبا طالب ، فقال أكثم لأبى طالب : ما أسرع ماشب أخوك – يعنى رسول الله – ﷺ – فقال أبو طالب : إنه ليس بأخى ولكنه ابن أخى عبد الله ، فقال : هذا ابن الذبيح ؟ قال : نعم ، وجعل أكثم يتأمله ويتوسّمه ، ثم قال : يابن عبد المطلب ما تظنون بهذا الفتى ؟ قال أبو طالب : إنا لنُحْسِنُ به الظن ، وإنه لَحَيٌّ جرىء سخىّ وفىّ ، قال : غير هذا يابن عبد المطلب ؟ قال : نعم إنه لذو شدة ولين ، ومجلس ركين ، ومفصّل مُبِين . قال : هل غير هذا يابن عبد المطلب ؟ قال : نعم ، إنَّا لنتيمن بمشهده ونتعرف البركة فيما لمس بيده . فقال أكثم : هل غير هذا يابن عبد المطلب ؟ فقال أبو طالب بن عبد المطلب : إنه لغلام بعد وحرى به أن يسود ويعرف بالجود ، فقال أكثم : لكنى أقول غير هذا يابن عبد المطلب .

[فقال له] : قل فإنك نَفّاث[3] غيب ، وجَلاّء ريب ، فقال أكثم ،

---

(١) القَيْل : من ملوك اليمن فى الجاهلية دون الملك الأعظم .

(٢) سمع بمبعث النبى – ﷺ – فهم بلقائه ، ولم يقدَّر له ، وكان من المعمرين (انظر الإصابة برقم ٤٨٢) .

(٣) ملهم .

أخلق بابن أخيك أن يضرب العرب قاطبة بيدٍ خابطة[1] ورجل لابطة[2]، ثم ينعق بهم[3] إلى مربع[4] منيع ووِرْد تشريع ، فمن مال إليه هداه ، ومَنْ احرورف عنه أرداه[5].

فقال أبو طالب : إنه لأهل لذلك .

[من مناقب الرسول عليه الصلاة والسلام بعد الرسالة]

□ ما تحدث به لأصحابه من علم الغيب :

● قال محمد بن محمد المقرىء المؤلف : لما اختصرت هنا شيئاً من مناقبه فى حال صغره – ﷺ – أحببت أن أذكر شيئاً من مناقبه بعد الرسالة – ﷺ – وما تحدث به لأصحابه من علم الغيب مما علمه الله تعالى ، فمن ذلك :

□ ما وقع لعُيينة بن حصن :

أن النبى – ﷺ – كان محاصراً لأهل الطائف فقال عُيَيْنَة[6] بن حِصْن ائذن لى حتى آتى حصن الطائف فأكلمهم ، فأذن له رسول الله – ﷺ – فى ذلك فجاءهم فقال : أدنو منكم ولى الأمان ؟ قالوا : نعم ، فدخل عليهم فقال : فداكم أبى وأمى ، والله لقد سرنى ما رأيت منكم ، والله ما لاقى محمد – ﷺ – مثلكم ، ولقد ملّ المقام ؛ فاثبتوا فى حصنكم ؛ فإن حصنكم حصين ، وسلاحكم كثير ، ونَبْلكم حاضر ، وطعامكم وافر ، لا تخافون منه ، فلما خرج قالت ثقيف : نخشى أن يخبر محمداً بحالنا ، فلما رجع إلى النبى – ﷺ – قال له : « **ما قلت لهم ؟** » قال : قلت لهم : ادخلوا فى الإسلام

(١) خابطة : شديدة الضرب .

(٢) لابطة : تصرع . ويقال : لُبِطَ بفلان : سقط على الأرض من قيام فهو ملبوط . والمراد أنه قوى شديد . (٣) ينعق بهم : يصيح . (٤) المربع : الأرض يقام فيها زمن الربيع .

(٥) اخرَوْرف عنه : انحرف وأرداه : أهلكه .

(٦) قال ابن حجر فى الإصابة : له صحبة ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، ولم يصح له رواية .
أسلم قبل الفتح وشهد حنيناً والطائف ، وبعثه النبى – ﷺ – لبنى تميم فسبى بعض بنى العنبر ، ثم كان ممن ارتد فى عهد أبى بكر ، ومال إلى طلحة فبايعه ، ثم عاد إلى الإسلام .

فوالله لا يرجع محمد عن دياركم حتى تنزلوا فخذوا لأنفسكم أمانًا وخَذّلتهم بما استطعت ، فقال له النبى - ﷺ - : « **كذبت إنما قلت لهم كيت وكيت** » ، فعاتبه أبو بكر - رضى الله عنه - فقال : ياأبا بكر أنا أستغفر الله ولا أعود لمثلها ! .

□ ما وقع من زيد بن لُصَيْت :

● ولما توجه النبى - ﷺ - إلى تبوك ضلت ناقته فنفر الناس فى طلبها وعند النبى - ﷺ - عمار بن حزم وكان فى رحله زيد بن لُصَيْت[1] وكان يهوديًا فأسلم ونافق[2]، فقال زيد : يزعم محمد أنه نبى ويخبركم بخبر السماء وهو لا يعلم أين ناقته ! فقال رسول الله - ﷺ - : « **إن منافقاً يقول : يزعم محمد أنه نبى ، أيخبركم بخبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ؟! والله ما أدرى إلا ما علمنى الله ، وقد دلنى عليها وهى فى الوادى فى شِعْب كذا ، حبستها سَمُرة بزمامها** » فانطلقوا فأتوه بها ، فرجع عمار بن حزم إلى رحله فقال : أتَعَجَبّ لشىء حدثنا به رسول الله - ﷺ - عن مقالة قائل أخبر عنه فقال رجل كان جالسًا : زيد والله قائل هذه المقالة ، قال : فأقبل عمار على زيد وقال : اخرج من رحلى ياعدو الله .

□ ما وقع من عمير بن وهب الجمحى :

● ولما رجع المشركون إلى مكة من بدر أقبل عُمَيْرُ بنُ وهب الجمحى إلى صفوان بن أمية ، وقال : والله مافى العيش خير بعد قَتْلَى بدر ، ولولا دَيْنٌ علَىَّ لا أجد له قضاءً ، وعيالٌ لا أدَعُ لهم شيئاً لرحلت إلى محمد حتى أقتلَه إن ملأت عينى منه ، وقد بلغنى أنه يمشى فى الأسواق ، ولى عندهم ابن أسير فأحتج عليهم بولدى . ففرح صفوان بقوله وقال : وهل أراك فاعلاً ؟!، قال : إى ورب الكعبة ، قال صفوان : فعلَىَّ دَيْنُك وعيالك أسوة عيالى ، وأنت تعلم أنه ليس بمكة رجل أشد توسعًا على عياله منى ، فقال عمير : قد عرفت ذلك ياأبا وهب . قال : فحمله صفوان على بعيره وجهزه وأجرى على عياله ما يجرى على نفسه ، وتقلد عمير بسيفه وخرج إلى المدينة

(١) قال ابن حجر فى الإصابة بلام وصاد مهملة ومثناة مصغراً وقيل بنون أوله وآخره موحدة- القينقاعى . ونقل القصة والحديث عن ابن إسحاق فى المغازى .

(٢) قال ابن إسحاق : وقال بعض الناس : إن زيداً تاب ، وقيل : لا .

ولم يُعْلِمْ أحداً بذلك ، وقدم عمير فنزل على مسجد رسول الله - ﷺ -، فنظره عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ومعه جماعة من أصحابه ، فقال : دونَكُم هذا عدوّ الله عمير بن وهب ، فنادى عمر : يارسول الله هذا عمير ابن وهب قد دخل المسجد ومعه السلاح ، فقال رسول الله - ﷺ - : « **أدْخِلْه علىَّ** » ، فخرج عمر - رضى الله عنه - فأخذ بحمائل سيفه فقبض بيده عليها وأخذ بيده الأخرى قائمة السيف ، ثم أدخله على النبى - ﷺ -، فلما رآه النبى - ﷺ - قال : « **ياعمر تأخرْ عنه** » ، فلما دنا منه قال النبى - ﷺ - : « **ما أقدمك ياعُمير ؟** » قال : قدمت لأجل أسيرى عندكم تحسنون إلينا فيه ، فقال النبى - ﷺ - : « **فما بالُ السيف ؟** » قال : قبحها الله من سيوف هل أغنت شيئاً إنما نسيتُه حين دخلْت وهو فى رقبتى ، قال : « **فما شرطت لصفوان بن أمية فى الحِجْر ؟** » ففزع عمير فقال : يارسول الله وماذا شرطت له ؟ فقال : « **تحملت بقتلى على أن يقضى دَينك ويعول عيالك** » ، فقال عمير : أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، كُنَّا نتهمك فيما تقول ، والله ما اطلع على هذا الأمر غير صفوان ، والله إنك لصادق ، وقد أمرت صفوان أن يكتم علىَّ هذا الأمر فأطلعك الله عليه ، فآمنت بالله وبرسوله ، وشهدت أن ما جئت به حقّ ، فقال النبى - ﷺ - : « **علموا أخاكم الصلاة والقرآن وأطلقُوا له أسيرَه** » ، فقال : واللهِ إنى كنت جاهدًا فى إطفاء نورِ الله ، وقد هدانى الله ، فله الحمد ، فَأْذَنْ لى فألحق قريشًا فأدعوهم إلى الله وإلى دينِ الإسلام ، فأَذِنَ له فلحق بمكة ، وسأل صفوان عن عمير ، فقيل له : إنه أسلم ، فلعنه وحلف أنه لا يكلمه أبدًا وطرح عياله ، وقدم عمير إلى مكة فدعاهم إلى الله تعالى وأخبرهم بصدق النبى - ﷺ - فأسلم معه خلق كثير جدًّا لا يعلم عددَهم إلّا الله سبحانه وتعالى[1].

---

(١) ذكر ابن حجر هذه القصة والحديث فى ترجمة عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حُذافة ابن جمح القرشى الجمحى نقلا عن موسى بن عقبة فى المغازى عن ابن شهاب . ثم قال ، وهكذا ذكره أبو الأسود عن عروة مرسلا ، وأورده ابن إسحاق فى المغازى عن محمد بن جعفر بن الزبير مرسلا أيضاً ، وجاء من وجه آخر موصولا ، أخرجه ابن منده من طريق أبى الأزهر عن أنس أو غيره وقال ابن منده : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه الإصابة (ج ٤ ص ٧٢٧ - ٧٢٨) .

[من معجزاته صلى الله عليه وسلم]

● ومن معجزاته - ﷺ - :

إطعام الجمع الكثير من الطعام اليسير فى عدة مواضع[١].

وسبح الحصى فى كفه[٢].

وحنّ إليه الجذع[٣] حين انتقل منه إلى المنبر كما تحن الناقة إلى ولدها حتى التزمه فسكن ، وقال : « **أغرسك فى الجنة بيدى فتأكل أولياء الله منك** » وفوق ذلك مما قال له .

ووضع يده فى مَيْضَأةٍ ففار الماء من بين أصابعه حتى شرب منه الخلق الكثير[٤].

وظهر ذئب على غنم ، فقال الراعى : أما تعجبون من هذا الذئب ؟ فقال الذئب : أنتم أعجب ؛ قد ظهر بمكة نبى يدعو إلى الله **أولاَ تجيبونه ؟! وأولاد** الرجل يسمون بنى مكلم الذئب إلى يومنا هذا[٥].

□ رد عين قتادة بعد أن خرجت حدقته :

● ولما أُصِيبَتْ عين قتادة بن النعمان الخزرجى يوم أحد[٦] خرجت حدقته فجاء إلى النبى - ﷺ - فقال له : « **أيما أحب إليك أن أسأل الله - عزَّ وجلَّ - أن يرد عليك عينك ، أو أسأله أن يحفظ عليك أجرك ؟** » .

فقال : يارسول الله إن تحتى امرأة تحبنى وأحبها وإن هذا يشيننى عندها ، فاسألِ الله تعالى أن يرد علىَّ عينى فهو أكرم من أن يحرمَنى ثوابى .

فأخذ النبى - ﷺ - عينه بيده وردها إلى مكانها فأبصر بها فى الحال كأحسن ما كانت وعاش بعد ذلك خمسين سنة فما رمدت عينه هذه ولا ضربت عليه أصلاً ، وكان يقول : هذه أشرف عينىّ وأصحهما ودخل بعض ولده على عمر بن عبد العزيز فى يوم قسمة فقال : انتسب ، فقال هذين

---

(١) ثبت ذلك فى صحيح البخارى كتاب الرقاق ، وانظر مسند أحمد (٥١٥/٢) .

(٢) انظر «دلائل النبوة» للبيهقى (٦٤/٦ - ٦٥) .

(٣) حنين الجذع ثابت فى صحيح البخارى كتاب المناقب ، وانظر المسند (٣٠٠/٣) .

(٤) ثبت ذلك فى صحيح البخارى كتاب «الاستسقاء» ومسلم فى كتاب الفضائل وغيرهما .

(٥) ثبت ذلك فى مسند أحمد (٨٣/٣ - ٨٤) وسنن الترمذى كتاب الفتن والبخارى فى كتاب فضل الصحابة ، ودلائل النبوة للبيهقى (٤٣/٦) .

(٦) فى دلائل النبوة للبيهقى (٩٩/٣ ، ١٠٠) أنه كان فى يوم بدر وانظر الإصابة برقم (٧٠٧٦) .

البيتين :

أنا ابن الذى سالت على الخدّ عَيْنُه ... فُردّت بكف المصطفى أحْسَنَ الرَّدِ

فعادت كما كانت كأحسن حالها ... فبوركت من عين وبوركت من يَدِ

□ شاة أم معبد :

● ولما خرج النبى - ﷺ - من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر - رضى الله عنه - ودليلهما عبد الله بن الأرْيقط الليثى فمروا على أم معبد الخزاعية وكانت امرأة جَلْدة تحتبى فى خِباءِ خَيمتها ثم تسقى وتطعم ، فسألوها لحمًا وتمراً فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك ، وكان القوم مُرْمِلين مسنتين[1] فنظر النبى - ﷺ - إلى شاة خلَّفها الجَهْد عن الغنم ، قال : « **هل بها حَلَب ؟** » قالت : هى أجهد من ذلك ، قال : « **أتأذنين لى أن أحلبَها ؟** » قالت : بأبى وأمى إنْ كان بها حلب فاحلبها فدعا بها رسول الله - ﷺ - ومسح بيده ضرعها فتفاجَّت[2] ودرّت ، ودعا بإناء فحلبت ثجًّا[3]، حتى علاه الثُّمال[4]، وسقاها حتى روت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب آخرهم ، ثم بايعها وارتحل عنها ، فقلما لبثت حتى جاء زوجها يسوق غنماً عجافاً[5] ، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب . وقال : من أين لك هذا ياأم معبد والشاة عازب ولا حَلُوبة ؟ فقالت : الآن مرَّ بى رجل مبارك حاله كذا وكذا ، قال : صِفيه لى ، قالت : رأيت رجلاً ظاهر الوَضَاءة ، حسن الوجه ، كريم الخُلق لم تُعبْه ثُجْلة[6] ولم تُزْربه صَعْلة[7]، وسيم قسيم ، فى عينه دعج[8]، وفى أشفاره وطف[9]، وفى صوته صحل[10]، وفى لَحيته كثاثة[11]، أزج أقرن[12]، إن سكت علاه البهاء وإن تكلم سماه الوقار ، غصن بين غصنين ، له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى

---

(١) أرمل : افتقر ، وأسنت القوم أصابتهم سنة وجدب وقحط .

(٢) تفاجّت : فرجت ما بين رجليها كما تفعل الشاة حين تحتلب ضروعها فتباعد ما بين رجليها لتفسح مجالا لها .

(٣) ثجًا : منصبًّا فى قوة وغزارة وتلاحق .

(٤) يقال أثمل اللبن ونحوه : كثرت رغوته .

(٥) عجافاً : هزيلة جمع عجفاء .

(٦) ثُجْلة : ضخامة بطن . .

(٧) صعلة : صغر الرأس أى ليس متصفا بما يعيب من ثجلة أو صعلة .

(٨) دعج : سواد العين

(٩) الوطف : طول شعر الأجفان .

(١٠) صَحَل : بُحّه .

(١١) كثاثة كثرة فى غير طول .

(١٢) الأزج : ذو حاجب دقيق مقوس ، أما الأقرن فهو الذى يلتقى طرفا حاجبيه .

أمره ، وإن نهى اجتنبوا ذلك ، محفود محشود[1] ، لا عابس ، ولا مُفَند[2] .

قال أبو معبد : هو والله صاحب قريش الذى ذُكر لنا من أمره ما ذُكِر ، ولقد هممت أن أصحبه بقية عمرى ، فلأفعلن إن وجدتُ إلى ذلك سبيلاً .

□ رجل من أهل النار ! :

● وقال سهل بن سعد الساعدى : كنا مع النبى - ﷺ - فى غزاة ومعنا رجل لا يبارز رجلاً من المشركين إلَّا قتله ، فذكرنا ذلك لِلنَّبى - ﷺ - فقال : « **إنه من أهل النار** » ، قال سعد : فمازلت أتبعه لأعرف عاقبة أمره فأصابته جراحة واستبطأ الموت فوضع سيفه عند سرته واتكأ فمات[3] .

● وكثير من مثل ذلك أنه كان يخبر بالمَغَيَّبات والمعجزات - ﷺ -

[طريقة الأدب مع الملوك !]

● وأما نجابة أبناء رؤساء العصر فإن الرشيد - رضى الله عنه - أمر جماعةً من أهل العلم بمحادثة المأمون - وهو صغير - فى أول الليل ليقتبسَ الأدب ، فجلس الحسن بن زياد ليلةً فبينما هو يحادثه ، ويُنَشِدُه إذْ نعس المأمون ، فقال الحسن : نمتَ أيها الأمير فاستيقظ !، فقال : سوقًى أنت - ورب الكعبة - ياغلام خذ بيده فأَخْرِجْه ولا تأذَنْ له فى الدّخول علينا بعدها ! .

فبلغ الرشيد خبره فاستصوب رأيه[4]!.

● وطريق الأدب مع الملوك إذا نام الملك أو الرئيس يخرج جلساؤُه من غير تشويشٍ ولا حركةٍ .

[فطنة المأمون ويقظته]

● وكان عبد الله المأمون يقرأ القرآن على الكسائىّ وهو إذ ذاك صغير ، وكان من عادة الكسائى إذا قرأ عليه المأمون يُطْرِقُ رأسَه فإذا غلط المأمون رفع الكسائى رأسه ، ونظر إليه ، فيرجع عبد الله إلى الصواب ، فقرأ

---

(١) محفود : يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون فى طاعته ، أما المحشود فهو الذى يجتمع إليه الناس . (٢) ولا مفَنَد : لا يوجه إليه لوم فلا يفعل ما يلام عليه .

(٣) متفق عليه . البخارى «كتاب الجهاد » ، باب لا يقال : فلان شهيد ومسلم كتاب الإيمان (برقم ١٧٩) . (٤) ذكر الجاحظ هذه القصة فى البيان والتبيين مختصرة . الجزء الثانى ص ٣٣٠ .

عبد الله يوماً « سورة الصف » فلما قرأ : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَالَا تَفْعَلُونَ ﴾[1] فرفع الكسائى رأسه ، ونظر عبد الله إليه فكرر الآية ، فوجدها صحيحة ؛ فمضى على قراءته وانصرف الكسائى ، ودخل عبد الله المأمون على الرشيد فقال : ياأمير المؤمنين ، إن كنت وعدت الكسائىَّ وعداً فإنه مُنْتَجِزُه[2] منك !.

قال : إنه كان التمس للقُرّاء شيئاً ووعدته به ! ، فهل قال لك شيئاً ؟ قال : لا ، قال : فما أطلعك على هذا ؟! فأخبره بالأمر . فسره ذلك من فطنة المأمون ويقظته .

[هارون الرشيد وأولاده]

● وقيل : إن هارون الرشيد استشار يحيى بن خالد فيمن يعهد إليه من أولاده : محمد الأمين ابن « زبيدة » أم عبد الله المأمون ابن « مراجل » ، فكان يحيى بن خالد يعلم ميلَ الرشيد إلى زُبيدةَ أمِّ الأمين وإيثاره لها ، فقال : أَحْضِرْهما ياأمير المؤمنين ، فأحضرهما - وهما إذ ذاك صَبِيَّان صغيران - ثم أغرى أحدَهما عِلى الآخر ، وأمرهما أن يتصَارعا ، فوثب الأمين ، وجلس المأمون - وكان حليماً رزيناً - فقال له الرشيد : ما بالك ياعبدَ الله ! أَخِفْتَ من ابن الهاشمية ؟! فقال المأمون : لم أَخَفْه ، ولكن قَبَضَ يدى عنه ما قَبَضَ لسانى ، فقال الرشيد : وما قبضَ لسانَك ويَدَك ؟! قال : قول الشاعر :

خافوا الضغائِنَ بَيْنَكُم وَتواصَلُوا ... عند الأباعد والحضورِ الشُّهَّد
بصلاحِ ذاتِ البيْنِ طُولُ بقائكم ... وفـاؤكم بتقاطـعٍ وتفـرُّدِ
فما مثل ريب الدهر ألف بينكم ... بتعاطـف وتَراحُـمٍ وتـوَدُّدِ[3]
حتى تلينَ قلوبكم وجلـودُكم ... لمسَوِّدٍ مِنكـمْ وغيـرِ مُسَوِّد
إن السهامَ إذا جُمِعْنَ فرامها ... بالكسْرِ ذُو حَنَفٍ وبَطش أَيِّدِ[4]
عَزَّت فلم تُكْسَر وإن هى بُدِّدَتِ ... فالوهـنِ والتـكسير للمتبـدِّد

فَرَقَّ الرشيد رقة شديدة واغْرَوْقَتْ عيناه دمعاً وكفكفها ، وأقبل على الأمين وقال : يامحمدُ ما أنتَ صانعٌ إن صرفَ الله إليك أمر هذه الأمة ؟ .

---

(١) الكسائى : هو أبو الحسن على بن حمزة الكسائى مؤدب المأمون ، وعالم النحو المشهور . وترجمته فى إنباه الرواة (٢/٢٧١) والآية رقم ٢ من سورة الصف . (٢) يطلب منك إنجازه !.
(٣) إن الشدائد تجمع بين القلوب ، وتؤلف بين النفوس بتعاطف وتراحم وتودد .
(٤) الأيد : القوى الشديد .

قال : أكون مهديًّا ياأمير المؤمنين ، قال الرشيد : إن فعلت فأنت أهله .

ثم أقبل على المأمون فقال : ياعبدَ الله ما أنت صانع إن صرف الله إليك أمر هذه الأمة ؟ فابتدرت دموعُ المأمون ، وفطن الرشيد لما أبكاه فلم يملك عينيه وأرسل دموعَه ، ثم عاد الرشيدُ لمسألة[1] المأمون قال : أَعْفِنى ياأمير المؤمنين ، قال : لابد أن تقول ، قال : إن قدّرَ اللهُ ذلك جعلت الحُزْنَ شِعارًا ، والحَزْمَ دِثاراً ، ومَقَالَ أمير المؤمنين مَشْعَراً لا تُستَحَلّ حرماتُه ، وكتاباً لا تُبَدّل كلماتُه ! .

فأشار الرشيد إليهما فانصرفا ، ثم أقبل الرشيد على يَحْيَىٰ بن خالد وأنشد هذا البيت :

أَهُمُّ بأمرِ الحزمِ لو أستطيعُهُ وقد حيل بين العَيْرِ والنّزاونِ

فقال يحيى بن خالد : هيأ الله لأمير المؤمنين من أمره رشَدًا .

قال المؤلف – رحمه الله – : وسأذكر هنا معنى قول الرشيد هذا البيت :

أهمُّ بأمرِ الحزم لو أستطيعُهُ وقد حِيَل بينَ العَيْرِ والنزّوانِ[2]

فالعير ، هو : حِمارُ الوَحْش ، والنزوان هو : الوثوب على الأنثى ؛ والذى عناه الرشيد بذلك تركه للعهد للمأمون مع ما يعلمه من فضله وذكائه ويقظته . وإنما أسند الأمر إلى الأمين غلبة لأجل أمه زبيدة ومحبته لها .

● وهذا البيت من قصيدة لصخر بن الشريد – وهو أخو الخنساء – وكان سيد قومه ، وكان قد أغار على بنى أسد فأصابته طعنة فطال مرضه من أجلها ، وكانت له امرأة جميلة ذات حُسن وبهاء ، وردف ثقيل ، وساقٍ مليح ، تسمى سُلَيْمى ، فمر بها رجل من الحى فقال لها : أيباع هذا الكَفَل ؟! قالت : نعم عما قريب ، فسمعها صخر من داخل البيت وهو ضعيف !، ثم سمع امرأةً تسأل أُمّه كيف أصبح صخر ؟ – فقالت أمه : نحن بخير مادمنا

---

(١) لمسألة المأمون : لسؤاله .

(٢) العيْر : الحمار ويضرب هذا المثل لمن أيس منه .

وهذا البيت من جملة أبيات مشهورة لصخر أخى الخنساء ، وكان صخر المذكور قد حضر محاربة بنى أسد ، فطعنه ربيعة بن ثور الأسدى فأدخل بعض حلقات الدرع فى جنبه وبقى مدة حول فى أشد ما يكون من المرض ، وأمه وزوجته سليمى تمرضانه فضجرت زوجته منه ، فمرت بها امرأة فسألتها عن حاله فقالت : « لا هو حى فيُرجى ولا ميت فينسى » فسمعها صخر فأنشد أبياتاً منها هذا البيت وأولها :

أرى أُمَّ صخرٍ لا تَمَلّ عيادتى ومَلّت سليمى مَضجعى ومكانى !

نرى وجهه ؟، ثم سمع امرأة تسأل زوجته عنه فقالت : « **لاحَيٌّ فيرجى ولا مَيْتٌ فيُسْلَى** » وكل ذلك فى ساعة واحدة ، فهم بقتل امرأته فلما دخلت إلى البيت قال لها : ناوليني سيفى لأنظر هل تُقِلّه يدى أم لا ؟!، فناولته السيف فإذا هو لا يقدر أن يُقِلّه فقال هذه الأبيات :

أرى أمّ صَخْرٍ لا تَمَلّ عِيادَتى ... ومَلّتْ سُلَيمى مَضْجَعى ومَكَانِى
وما كنت أخشى - أن أكون جنازة ... - عليك ومن يغتر بالحَدَثَانِ[1]

ثم أنشد هذه الأبيات :

أَهُمّ بأمرِ الحَزم لو أستطيعُه ... وقد حِيلَ بيْنَ العَيْرِ والنَّزَوَانِ
لعمرى لقد نبهت من كان نائماً ... وأسمعت من كانت له أذنان
وأى امرىء ساوى بأمّ حليلَة ... فلا عاش إلا فى شقًا وهوانِ[2]

ويقال إن الطعنة خرقت درعه ووصلت إلى جوفه فمات .

[ما أشدُّ البلاء ؟]

● وسأل المهلب[3] بن أبى صُفْره ولده يزيد وهو صغير فقال له : يابنى ما أشدُّ البلاءِ ؟ .

فقال : مُعَادَاةُ العُقَلاءِ ، قال : فهل غير ذلك يابنى ؟ قال : نعم مُسَاءَلَة البخلاء .

قال : هل غير ذلك يابنى ؟ قال : نعم قال : أمر اللؤماء على الكرماء .

[ياأبى علمنى الصلاة]

● وكان أبو يزيد البسطامى صغيراً فاستيقظ من نومه ليلة فرأى والدَه قائماً يصلى ، فقال : ياأبت عَلِّمْنى كيف أتَطَهّر ، وأصلى معك ؟!، فقال أبوه : يابنّى ارْقُدْ فإنك صغير !، فقال : ياأبت إذا كان يوم القيامة أقول لربى : قلتُ لأبى علمنى كيف أتطهر وأصلى معك ؛ فقال لى : ارقد فإنك صغير ؟ فقال أبوه لا والله يابُنَى ، وعلّمَه وكان يصلى معه ! .

---

(١) الحَدَثان : حدثان الدهر : نوائبه وحوادثه .

(٢) ذكرت هذه القصة ومعها الأبيات فى الشعر والشعراء (٢٦٢/١) والأغانى (١١٢/٤) والأمثال للميدانى (٤٨٢/٢ - ٤٨٣) .

(٣) أمير من القادة ولى إمارة البصرة لمصعب بن الزبير اشتهر فى محاربته الخوارج الأزارقة حوالى عشرين سنة حتى تغلب عليهم ، ولى خراسان لعبد الملك بن مروان وتُوُفى بها .